نور الدين درويش

السفر الشاق

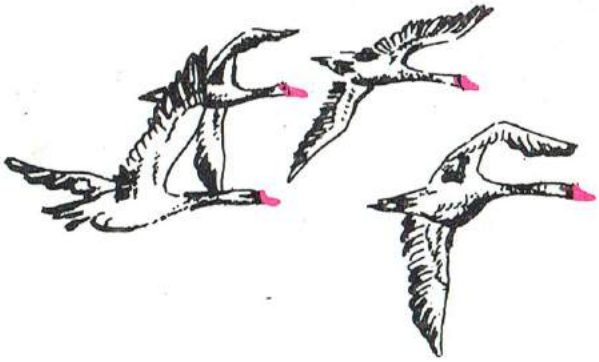

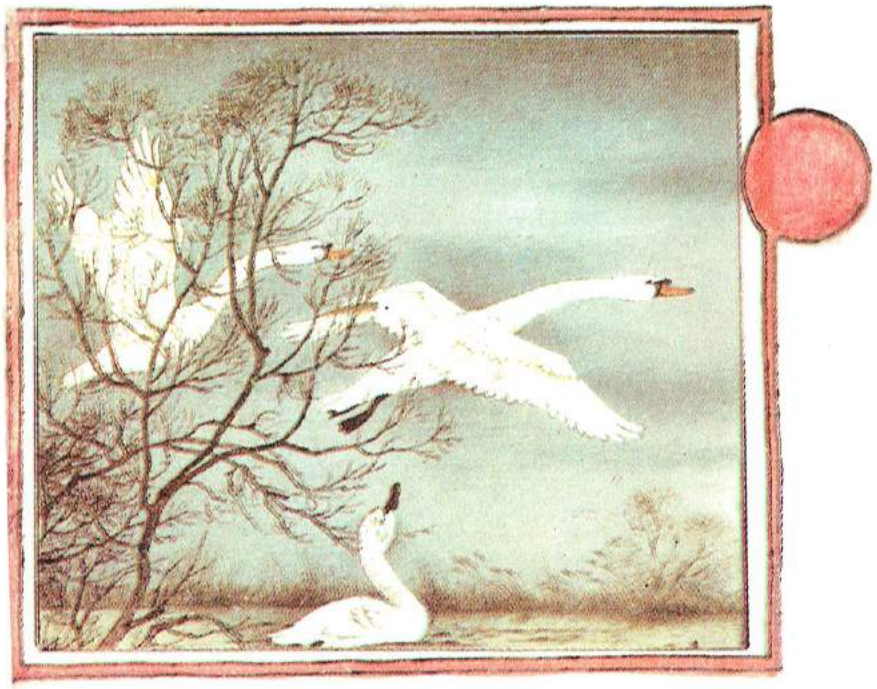

إبداع

نور الدين درويش

السفر الثاني

(شعر)

إبداع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمي و... أمي ...
إلى أبي، أهلي، وكل الأصدقاء ...
إلى كلّ مسلم.

صرخة في وجه الظلام

سيظل إصرارنا العتيد، وعزمنا الطامح،، ونداء الوطن بأمجاده،، يبعث في أرواحنا قيم التضحية والتفاني للذود عن قيمنا المخلدة،، وإرساء جهودنا الصادقة،، قلعة تحدّ وطموح،، تنير درب السارين عبر تاريخنا،، وأجيالنا الآتية.

سيظل إصرارنا،، شعلة تفتق إرادتنا العالية،، وجهودنا البانية،، لأن يعلو الوطن الغالي،، دوما،، ولا ينحني،، ولأن نكون في مستوى التضحيات المعطرة بالدماء.. عبر قرن ونصف ويزيد،، فالشعب الجزائري مايزال سخيا ومعطاء بدمائه وأرواحه في سبيل الذود عن الحمى،، ومواجهة معتدي الأمس واليوم إنه شعب يبعث على التقدير والإعجاب،، وهو يكافح عبر تاريخه الطويل عن خصوصيته الحضارية،، وشخصيته المتميزة..

وما من شك في أن «جيل إبداع»،، هو غصن من تلك الشجرة،، وفيض من ذلك الوجود الحضاري المتسامي،، والمشرق عبر القرون كلها،، فلا ريب أن تتألف المطالع النورانية في سماء الجزائر وضمير الأمة،، تفتق «إبداع» عزمها إرادة لا تلين.. وصرخة في وجه الظلام لا تؤوب،، وفيضا من النور يعلو صداه ربوع الوطن الغالي،، ليقهر رموز الظلام الكافرين بحب الوطن والولاء لقيمه المخلدة.. والبائعين سنيّ ورده، وشذيّ عطره،،

بالحطام الزائل، ولهاث الظلام.

لقد تفتقت «إبداع» فجرا أصيلا في ضمائر رجالها، وتعالت قلعة تحدّ وشموخ،، تطال الهازئين القائلين عنا «أنا أحلاس أقوال...». وأكدت للجميع أن أبناء الوطن المخلصين له،، القادرين على إسعاده مهمشون مبعدون،، وأن العابثين بمجده ووجده،، يتربعون على نواصيه،، وقدها لهم أن يعلو صوت الوطن النقي الطاهر من سماها،، تجسده طلائعها المتوثبة،، هالهم أن يظل نداها يمزق وطأة الليل والظلام في بلد الأمجاد والرجال.. فنصبوا لها في كل مقام ومقال،، فناشتها أحقادهم،، وأرادوا لها قريب الزوال،، فأراد لها الله طويل البقاء..

وتعالت على أحقادهم فجرا سنيا،، وعزما قويا،، فباؤوا بخيبة الرجاء،، وذل الإنكسار،، وستظل تحمل نداء المحرومين من شباب الوطن،، توخز ضمائر الأشقياء الذين تربعوا على خزائن البلاد، وعاثوا فيها الفساد..

لقد طلعت عليهم، طلعة سيذكرونها مدى الدهر ويعيدون،، ولما تنزل بثقلها، بعد،، وسوف تبقى حجة المخلصين المهمشين،، ومضرب مثل المحرومين عبر تاريخنا الطويل..

ولقد أدرك رجالها ما يتهدد وجودهم من المبيتين لهم، فأحاطوها،، يذودون عن حماها،، ويعلون البناء،، وما يزال المعترك، في احتدام،، وما يزال الطريق محفوفا بالمصاعب والمخاطر.

لقد حاصروها،، أشد الحصار،، فدفعت إليهم بكوكبة من رجالها،، ترود المجال،، دفعت إليهم بـ «محمد شايطة» و«بومرزوق زين الدين» و«حسين عبروس» و«حسين فيلالي» و«مفتي بشير» و«باديس فوغالي»

و«محمد بن عجال» و«علال سنقوقة» و«نور الدين درويش» و«عبد الوهاب زيد».

و«خليفة قرطي» و«عبد الله عيسى الحيلح» و«شارف عامر» و«عقاب بلخير»،، شعرا، ونقدا، وقصة،، ورواية،، أربعة عشرة إسما،، وإنهم آتون،، من عمق الجرح.. يطفئون حرقة الصدور،، وينشرون الدفء والنور،، في وطن الأحرار الشرفاء،، الذي لن تطأ جبهته الثرى،، وحوله رجال آمنوا أن «إبداع» نور ولن يطفئوا نور الله..

وأنه «السفر الشاق» وأنه «سفر الكلمات» وأنهما «نور الدين» يشق دربها،، و«عقاب» يعلي سماها،، وأنها مسيرة جيل وإرادة رجال.

الطاهر يحياوي

تقديم

عندما يطلب منك أحدهم تقديم شاعر تعرفه فأنت في حل إما أن تقدم صاحبك للناس مجاملة أو اعتزازا، وإما أن تعتذر خوفا من المبالغة والنفاق أو الإساءة إلى صاحبك وإلى شعره، ولكن أذا طلب منك أحدهم تقديم شاعر لا تعرفه تماما فأنت في حل أكثر لأنك إما أن ترفض التقديم، لعدم معرفتك بمانع الشعر، وإما أن تلغي القائل وتهتم بالمقول، وتفعل ما فعله العقاد مع عمر ابن الرومي فتهتم بالنص وتغفل النّاص.

وكذلك شعرت يوم جاءني من طلب مني تقديم ديوان (السفر الشاق) للأستاذ نور الدين درويش، فأول ما نطقت به إليه هو أنني لا أعرف شيئا عن هذا الشاعر، فقال مخاطبي: لا عليك إن رأيك في شعره يكفي، ثم أخذ يروي بعض الأشعار عن الشاعر كما يروي يروي صاحب كتاب (الأغاني) عن الشعراء الأقدمين، أو ابن سلاّم عن رجال طبقاته، فقلت لمحدثي: يكفي، إنك تزيد هذا الشاعر المعاصر بعدا عن العصر، دع شعره يقول من هو، وسأحاول تقديم الشعر لا تقديم الشاعر، إذا كنت من الراضين عن شعره طبعا.

ورغم الإلتزامات التي لا حصر لها، ورغم الجو العام المضاد لكل شيء يتصل بالشعر، فقد استرقت من وقتي لحظات قرأت فيها أشعار (السفر

الشاق) قراءة العجلان بل قراءة التعبان. فإذا بي أجد نفسي رغم العجلة أتريث، ورغم التعب أنشط. فالقصائد سواء كانت عمودية أو متحررة، تأخذ بلبك بقوة موسيقاها وجدة موضوعها، وتلهّب عاطفتها. لقد كنت أظن أن عصر الشعر الملتزم قد ولى ودخلنا عصر الشعر المتسبّب. تبعا لتسبب الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية عندنا، فإذا بي أكتشف أن صاحب (السفر الشاق) ملتزم إلى الأذقان بقضية يهون عندها كل نفيس. لذلك تتردد في شعره ألفاظ الحب وليلى، والسجن، والملك، والسلطان والشاعر، والإسلام والوطن. وتتكرر فيه النداءاتُ الطويلة حتى كأنه يخاطب المجهول والبعيد والمستحيل:

يا أيها البطل المفقود في الظلم يا راحلا في المدى، يا غصة بدمي
ليلاك حلم وكابوس يعذبنا ماذا سيحدث لو عشنا بلا حلم
تأبى المسافة أن تأتيك طائعة فهل بوسعك أن تجري بلا قدم

ويتكرر النداء بدون أدواته ولكن بلفظ النداء نفسه وذلك في كل موسم وفي كل لحظة، حتى لحظات السكون والليل والوحدة:

أناديك في صمته الليل حين أحنّ
أناديك من شرفة الذكريات
ومن صورة خبأتها السنون
أناديك، إني أناديك، هل تسمعين!

إن صاحب هذا الشعر يبحث عن المقدس الضائع في ظلام الأحداث، وهو يناديه ويجري وراءه، وهو مسافر نحوه أبدا، في اليقظة والمنام، مهما كلفه ذلك السفر من سجن وعذاب.

لقد أنجبت الجزائر شعراء ملتزمين من الجيل الماضي كان على رأسهم محمد العيد آل خليفة في الإسلاميات والعروبيات، ومفدي زكريا في

الوطنيات والثوريات. ولم تتوقف نبضات الإلتزام عند شعراء الإستقلال ولكن الإحساس بحجم القضية كان أقل عندهم من شعراء الجيل الماضي، كان هؤلاء مقتنعين بقضيتهم ومؤمنين بها لدرجة العشق والفناء، أما شعراء الإستقلال فكان إلتزامهم ممارسة ظرفية، باستثناء واحد أو إثنين منهم. وهاهو شاعر (السفر الشاق) يعود بنا إلى إلتزام شعراء الجيل الماصي. إن في شعره أكثر من رمز، فهو يربطنا بماضينا، وهو يذكرنا بمواقعنا، وهو أيضا يحملنا على جناح الأمل إلى المستقبل.

من الأكيد أن في (السفر الشاق) هموم شباب اليوم في العالم العربي والإسلامي، همومًا قد توصف بالسياسة ولكنها في الواقع تشمل كل مظاهر الحياة. فبعد مرحلة التحرر من الإستعمار جاءت مرحلة البناء والإعتماد على الذات، فإذا الحلول غير ما كانت في الخيال، وإذا الصراع اللغوي، والحضاري واحتكار السلطة والتبعية لأعداء الأمس، وتهميش الشباب والتعسفات التي لو ارتكبت في عهد الإستعمار الأجنبي لاعتبرت مظالم وجرائم. ومن ثمة نجد في (السفر الشاق) ثورة محتدمة، تتخذ رموزا عديدة، وإصرارا على التحدي مهما كان الثمن.

دعي التفاصيل إن الحاكم العربي قد استعان على قتلي بمرتزق
سيّان ينزف رأسي أو فمي أبد سيّان لن أنحني فليقطعوا عنقي

إن صاحب (السفر الشاق) لا يُطمئن قرّاءه على حياتهم ومستقبلهم، بل ينذرهم بأن الطريق طويل وصعب، وأن إشراقة الصباح ما تزال في حجب كثيفة، وكأنه يقول لم عليكم بالنضال والصبر والتحدي والشموخ والرفض، ثم انتظار الصباح. وهناك أمثلة عديدة على هذه الظاهرة في شعره، ومنها تسمية الديوان نفسه. فنحن نفهم أن السفر هو الإنتقال إلى البعيد، ومن تجربة إلى أخرى، ولكننا نفهم أيضا أن هذا السفر ليس سهلا ولا محفوفا بالورود والمغربات.

ولولا بعض الهنات في القوافي والأوزان والقواعد، لكان ديوان (السفر الشاق) فتحا فريدا، في هذه البلاد. ومن قال أن (عبقر) قد غفا بعد المتنبي وأن (كرمة ابن هانيء) قد صرحت بعد شوقي، وأن عيون الأوراس قد غاضت بعد محمد العيد!

إن العربية والجزائر والإسلام مازالت تلد النابغين من الشعراء كما ولدت الأفذاذ من الأبطال والمصلحين والوطنيين. فلا خوف على العربية والجزائر والإسلام مادام في الساحة شباب من أمثال صاحب ديوان السفر الشاق).

الجزائر في 10 يوليو 1992

أبو القاسم سعد الله

أين العروبة يا عرب

الله أكبر، إن الدهر منقلب
العبد مبتهج والحر مكتئب
نخفي الحقيقة، نخشى سوط حاكمنا
نخفي الدموع وفي أعماقنا عطب
نظل نسأل ما سر انتكاستنا
ما سر من غُلبوا من بعد ما غَلبوا
بما أجيب، دم الأبطال يسألني
أين الأمانة، هل خان الدم العرب
بما أجيب، أجيبوا سادتي بدلي
أين الرجولة أين النيف والشنب

خدودنا امتلأت دمعا فهل نفعت

هل ينفع الدمع والتنديد والخطب

مالي أرى في بقاع القدس مجزرة

أم تموت و رب الدار ينتحب

مالي أرى في دنا لبنان ملحمة

الحزب مختلف والشعب مضطرب

مالي أرى في ضفاف النيل سادية

ترضي اليهود ومَنْ بلدانَنا سَلبوا

مالي أرى شعلة الأوراس خامدة

مالي أرى ثروة الأجداد تُستلب

بما أجيب، دم الأبطال يسألني

بما أجيب وبيت الله يُغتصب

حكامنا أبدا باعوا ضمائرهم

باعوك يا شعب بالدولار وانتصبوا

فوق الجماجم، أنعمتهم سياستهم

فاحذر ألاعيب من خانوا ومن كذبوا

حب الجلوس على الأعراش غايتهم

الكأس شغلهمو والرقص والطرب

الشرق بالسم يسقينا ويعصرنا

الغرب من أرضنا العذراء يحتطب

خيراتنا أُكلت، أموالُنا نُهبت
النفط صار لهم والغاز والذهب
أين الشواطئ قد ضاعت مراكبنا
الريح تهزأ بالأمواج والسحبُ
أين الشهامة، أين العز في بلدي
أين العروبة والاسلام يا عرب
مدوا الأيادي، سيوف الثأر تطلبنا
ردوا النداء جنود الله، اقتربوا
ضموا الصفوف، لعل الله ينصرنا
بالله أكبر، يأتي النصر والغلب
أوراس يا جبل المليون من بطل
ما زال من جعبتي التوحيد ينسكب
مازلتَ في نظر الأبطال مشتعلا
في الهول نلقاك في الميدان تلتهب
باديس قال وها نحن نردها
في الدين عزتنا للعرب نلتسب
باديس لا لم يمت، باديس في دمنا
وابن المهيدي وبن بولعيد يا عرب
بيروت ساحتنا والقدس مسجدنا
في الضاد وحدتنا والصبح مقترب

قسنطينة: 1986-04-27.

لا أعرف شيئاً

أنا لا أعرف شيئًا
قسما بالله لا أدري لماذا أخذوني
ولماذا جعلوا مني قضيه
أنا لا أدري لماذا فصلوا عني لساني ويديَّ
صدقوني
أنا لم أقتل
ولم أسرقْ
ولا خالفت عرفا وطنيا
كل ما في الأمر أني قلت شعرا
ربما أدهشهم شعري

فخالوني نبيًّا
ربما فخرا بشعري واعتزازا
قرر السلطان تحنيط لساني
كي يصون العربيه
ربما الأشعار أضحت طلقات
ويراعي بندقيه
وأنا في كل حال لست أدري
صدقوني
أنا لا أعرف شيئًا.

قسنطينة ذات يوم

قدر يا قدر

لا تسلني عن البدر كيف أختفى
وعن الغيم لما اعتصر
لا تسلني عن الحلم والامنيات
وعن ربع قرن مضى
فالكلام الذي خبأته السنون اندثر
وشريط الهوى يوم عيدي انكسر
قد يا قدر
عسعس الليل والكل نام
كبر الجرح وانتفخ الجفن والليل طال
لوعتي الآن تسألني

فأجبني ولو مرة يا قدر
من تطيب بالغدر ؟
من أضرم النار في جسدي ؟
من تفنن في زرع أشلائه في دمي ؟
كلها الآن أسئلة
والجواب انتحر
قدر يا قدر
ليس من حقي الآن يا قدري أن أمدّ يدي
أن أعيد الحكاية من صفرها
ليس للقلب أن يصبح الآن مقبرة للهوى
ليس من حقه الآن أن يرتمي بين أحضان طيف عبر
ليس لي الآن أن أعتذر
وجب الهجر
" لابد للقيد أن ينكسر"
سأنام قليلا هنا
وسأكتب في مذكرتي
شاعر كتم الحب ثم انفجر
قدر يا قدر
ها أنا الآن أهرب عن جسدي
نار جفني على جفنه والظلام انتشر

دخل الحلم في حلمه
ورأيت البشارة تكتب اسما جديدا
على كفي المرتعش
سقط الحزن فوق الثرى
لملم القلب أمتعتي
قلت للقلب خذني معك
وبراءة خمس وعشرين خلفي تنادي
إلى أين تأخذني
جملة يا قدر
أوقفت سير قافلة
أخرجتني من الحلم من سفري، من هواي
وإذا بالعيون التي احرقتني زمانا بدت
راودت مقلتي
دغدغت لوعتي
مرغتني قليلا على جمرة واختفت
سقط الدمع من مقلتي
وبكت تربتي والحجر
قدر يا قدر
بين حب قديم
وحب جديد

فقدنا الهنا
وفقدت الموازين يا ويلتي والبصر
ألمي الآن يزداد يا قدري
كبر الجرح وانتفخ الجفن والليل طال
عجز الشعر عن وصف قاتلتي
إنني متعب
أيها اللغز يا غديَ المنتظر
دلني
أين درب الذي خطه قدري
من هنالك
أم من هنا
ربما قد تجيب النجوم
ربما قد تجيب القمر
ربما ...
إنني متعب
لست أدري لماذا تحاصرني بسمة
وتعذبني بسمة ثانيه
أعرف الآن خاتمتي
سأظل أفسر دمعتي بالتي ..
أعرف الآن خاتمتي

هي قنبلة فجرتها السنون
هي الآن نائمة
وأنا المنفجر
قدر يا قدر
قدر الحزن لاحول لي لامفر
لامفر
لامفر

قسنطينة : 25 - 09 - 1986

سرتا

سرتا أيا قبلة العشاق ها أنذا
أعود ها أنذا قد عدت ضميني
ضمي حبيبا أتاك اليوم معتذرا
وذكريه بأي العصر والتين
وبالطيور التي غنت لنا زمنا
وبالعيون التي كانت تغديني
وادي الرمال، وذاك الجسر أوحشني
فجلسة في جبال الوحش تشفيني
أهواك سرتا. أجل أهواك ملء دمي
لا ذلك البعد لا الترحال ينسيني

أهواك جهرا أمام الناس أعلنها
ا أهواك سرا أخاف الغير يغويني
البعد نار وما أدراك ما ألمي
البوح يقتلني حينا ويحييني
أنت الحبيبة أنت الكل معترفا
بالذنب عدت وقد فاضت براكيني
أهواك ما لي سواك الآن ينقذني
ردي إلى القلب دفء الحب ردّيني
ضيعت أغلى سنين العمر مغتربا
وتهت في دربيَ المشؤوم دلّيني

قسنطينة: 25-10-1991

ظلي المنهزم

بعيدا عن الحب ألقاك تهوى
وألقاك في واحة الحب تحتضن الدفء
صمت المدينة أنت
وأنت المنادي
واني المعذب خلف الفؤاد
بعيدا عن الدمع ألقاك تبكي
وألقاك في ساحة الرفض أنت المعادي
دموعك كانت على الخد تجري
وكانت دموعي في كل وادي
بعيدا ...

بعيـــدا
وها أنت في ســاحة الحرف تشــدو
يسـايرك التغــم حينـا
وحينـا يخالفك الأسـطوان
مع الليــل كنت
ولليــل كنت تغـني
وكنت أفتش في قـبر والــدتي
كنت أبحث عن جمـلة لاتنـام
أخيــرا
تبين لي أن كل الحناجر تصطنع اللحن
والحرف واحد
تبين لي أنني الميت الحي هذي الحروف حروفي
ولكنه الدهــر خان
تعــال أيا خاطف الصوت والسـمع اني هنا
تعـال أسـلمك لحني
تعــال نفتش
إذا شئت في عمق ذاكرتي في صباي
سـأعطيك كل الملفـات
مادمت تمتص رائحة الجرح
والجرح جرحي

سأعطيك حنجرتي
وسأعطيك مالي وحبي
سأعطيك كل الذي بيدي
لتعلم أنه
لاشيء بعد الأحاسيس يعطى
ستبحر يا صاحبي دون بحر
ستنمو بقلبك آلام قلبي
ستنمو بشعبك آهات شعبي
ستنمو على شفتيك الحبيبة والحب
والحب حبي
ستنمو ...
ستنمو ...
وبعد المزق يا صاحبي
بعد هذا الرحيل الطويل الطويل
ستعلم أنك أصبحت ظلي
وأنك حتما تموت بموتي
سأعطيك كل الذي بيدي
وسأحترف الصمت
مادمت تعلم أنك أنت الأنا المنهزم.

قسنطينة: 28-02-1987.

انهيار عرش الكبار

أيقضتني العصافير هذا الصباح
أيقضتني الزغاريد والأغنيات
قبل أن أسأل الناس فاجأني بالرسالة ساعي البريد
قال لي انهار عرش الكبار
قال مسترسلا في الحديث انجلى الليل
يا سيدي النصر لاح
قلت شكرا وصافحته
ضمني وبكى
ثم قبلني مرتين وراح
ما الذي ينبغي الآن أن أفعله

هل أعيد الحكاية من بدئها
هل أعزيك في صمتة وأنام
هرب النجم يا امرأة
الأيادي التي قممتك انتهت
لم يعد أحد يستطيع التحرك
شلت أياديهم والسلاح
سقط العرش سيدتي
كل أصحابك الآن رهن الدمار
من سيحميك من ؟
من يرافقك الآن من ؟
من يصدقك الآن
والكل يعلم أنك عاصفة خلفتها الرياح
شهد البحر أنك مجرمة
شهد البر أنك مجرمة
شهد الجرم
والجرح قد أثبت الادعاء
آه يا امرأة
لن يفيد التنكر
لن يستطيع الأطباء محو الجراح
أبدا، لن يفيدك هذا النواح

سقط العرش فوق الكبار
وبقيت بلاصاحب تركضين
انها حكمة الدهر سيدتي
للبدايات خمسون بابا وخمسون صوتا
والنهاية واحدة لاتزيد
سيفسرك الدرب قبل الرحيل
سيفسرك الجرح
الجرح يكبر والكلمات
قطعي الشعر
أو مزقي الحلم ثم الوسادة والذكريات
حاولي الانفصال
بدّلي الثوب بالثوب
أو حاولي لحظة الموت أن تقنعي الاخريات
انها حكمة الدهر سيدتي
ونهاية عصر التمدن والانفتاح
أبدا، ستظل اتجاهك كل الأصابع كل العيون مصوبة والرماح
سقط العرش سيدتي
هكذا قال ساعي البريد
وبقيت بلا صاحب تركضين
مثل مجنونة تركضين

من هـنا
ربـما من هناك
بعـد شهر يعـودون
أو ربـما بعد عـام
وتظلين هـائمة تركضين
آه يا امرأة
من يـرافقك الآن من ؟
من يصدقك الآن ؟
والكل يعـلم أنك عاصفة خلفتها الرياح .

قسنطينة : 1987-01-03

صدى الجائزة

لا الشعر غير من حبي ولا الدهر
ولا الشهادات ياهذا ولا النصر
ماغرني ذلك التصفيق لا أبدا
ولا الهدايا ستغريني ولا الشكر
كتبت شعرا لأن الشعر يفهمني
وليس لي بعده مال ولا قصر
فكيف يمكن أن أرضى بها عوضا
وكيف يمكن أن أغوى وأغتر
من كان يطعن في خلقي دمي حسدا
دعه بربك لي من طعنه أجر

لا بأس ان شتموا في غيبتي نسبي
لا بأس انهمو في حضرتي خروا
الشعر يا صاحبي دنيا ملغمة
وليس يفلح إلاّ من له صبر
الشعر حرفان مهزوم و منتصر
والشاعر الفذ مكتوب له النصر
ما جئت أفخر، ليس الفخر من شيمي
ما قلت يطلع من أشعاري الفجر
لكنني كدت، كدت الآن أكتبها
وكدت أقسم أني الواحد الحر
فالبعض يكتب ما يمليه سيده
والبعض ظل لقول الغير يجتر
والبعض يكتب حبا في الظهور فما
يدري سواه أشعر ذاك أم نثر
والبعض يكتب تقليدا وتسلية
وبعضهم همه يا صاحبي النشر
الكل يلهث خلف الحرف من زمن
الكل تاه وقد تاهت به السطر
مغدورة هذه الدنيا وغادرة
من لا يقيدها حتما سينجر

لاخير في شاعر يحيا بلاهدف

يخضر حينا و بعض الحين يحمر

أسأل أيا صاحبي عن صدق من كتبوا

هل طبقوا الشعر في الميدان أم فروا

ما نفع قول إذا ما الفعل خالفه

ما نفع شعر إذا ما خانه الشعر

أمامي الآن أشياء تفسرهم

وفي يدى قلم يغلي به الحبر

وفي فمي كلمة ، بل هي قنبلة

والله يعلم ما يخفيه ذا الصدر

لكن سأسكت رغم الجرح قافيني

والشعر يرضى بما أرضى لي الأمر

من كان يطعن في خلفي دمي حسدا

دعه بربك لي من طعنه أجر

الشعر يا صاحبي دنيا ملحمة

وليس يفلح الآ من له صبر

الليل يكبر

الليل يكبر والآهات والضجر
بكم تباع خيوط الصبح ياقدر
أظل أسأل، وحدي هاهنا قلق
لاجنة عانقت حزني ولا بشر
أصور الحب أم نبضي يخيفهمو
أم أنني بشر وحدي وهم حجر
الليل يكبر جاسوس يلاحقني
في كل ثانية يبدو وليستتر
يعيب حرفيَ، يرويه، يزوره
أصير متهما، بالحرف أشتهر

العازفون تلّت أوتارهم حسدا
والسامعون بكأس مرعب سكروا
الليل يكبر، أحلامي تعذبني
يشتد بي غضبي المألوف أعتصر
حيران يُدفني صوت. ويمنعني
صوت يقول: دع الأفكار تختمر
وكيف أسكت يا جرحا يمزقني
لولا التنفس بالأشعار أنفجر
الليل يكبر، شعر كله غزل
فهل سيذبل أم ينمو ويزدهر
حيران هل قرأت شعري معذبتي
هل فُسِّرَ اللغز هل أوحى لها القمر
الشهر مرّ و مر العام كم سنة...
لا البدر لاح ولا لاحت بكى المطر
الليل يكبر هل أغتال عاطفتي
أأدفن الحب حيا أيها القدر
ماذا لو استنطقت قلبي اللحود ترى
بأيما لغة يا قلب تعتذر
لملمت كل دواويني وأغطيتي
سافرت لكن إلى أحضانها السفر

الليل يكبر أبواب مكبلة
حتما ستكسر أوحتما سأنكسر
ألقلب يعشق ماذنبي إذا نضجت
أحلامه البكر هل في حبه ضرر
أموت ، أحيا ، أعزي الموت تبعثني
للحب أغنيتي الأولى فأحتضر
الليل يكبر ، اسودت مخيلتي
يفوقني الجرح ، لا . بل هدني الحذر
بيني وحبي جنات وأودية
لكن تحاصرنا في يقظة سقر
أقول للقلب : أجل يومها لغد
يقول لي القلب : عجل أو سأنتحر
الليل يكبر ، غطى الليل مقبرتي
ماذا اقترفت ملاكي القبر ما الخبر
جن الملاكان جن الدود أخبرني
عصيت قلبك هذا شأن من كفروا
أقسمت والله لن يرتاح لي أبدا
بال وفي أرضنا المستدم القدر
الليل يكبر لا تستسلمي انتظري
هزمت لكنني حتما سأنتصر

أعلنت بحثيَ، هات النار فاتنتي
فليس مثلي من يَعْنو ويُحتَقَر
حتما ستؤتي بذور الشعر أكلتها
حتما سيورق في أحضانها الشجر
توقف الليل في شوق وفي قلق
ما زلت أرقب خلف الباب أنتظر
أنا المعذب في حزني وفي فرحي
أنا المكابد في صمت أنا الضجر
أنا الدموع التي تبكيك دائمة
أنا الأغاني التي غنتك والوتر
الشمس تشرق آيات مخلدة
الشمس ها هي في الأرجاء تنتشر
اني أحبك حبا لا ينافسني
فيه الذي يدعي جذرا ولا الحمر
فجرتِ في داخلي نورا وفي شفتي
أينعتِ فاخضوضرت في شعريَ الصور
الحب يكبر لا ليل ولا ضجر
صبح تنفس في أحشائه سور
كوني صلاة ومحرابا ومئذنة
كوني الشهادة أوحجا فأعتمر

كوني كما شئت أنت الروح في جسدي
الحس أنت وأنت السمع والبصر

الحي الجامعي (الحائية): 08 - 07 - 1987

تسكع ليلي

قلقا تفكر في اختيار المطلع
قلقا تروح، تجيء، تذهب، تدعي
قلقا وها قد طال صمتك يا فتى
سيطول أكثر في غياب الدافع
عد للهوى، عد للحبيبة وارتشف
ان كنت ترغب في القصيد الرائع
نفس تسائلني الغرام تقول لي
ما الشعر ان لم يلتحم بمواجعي
أغمضت عيني، همهماتي رددت
ما الشعر ان لم يلتحم بمواجعي
عاتبت همهمتي، صرخت وقلت هل
فرضت على الابداع نار المبدع

يانفس لا، أرجوك يانفس اسكتي
شعري بريء من هواك المفزع
ماكان شعري للغرام محطة
ماكان حبك أوحبيبك منبعي
وسمعت صوتا، قلت ياقلبي أعد
ماذا تردد في الخفا، لم أسمع
الحب لا، ماعدت أصلح للهوى
تعب اليراع الجرجف وأدمعي
قلق فمن سيضمني وقصيدتي
اني احس تقطعا في الأضلع
قلق حزين، حائر متدمر
من يستضيف تدمري وتقطعي
اني أحبك، أيها الوطن اقترب
هي ذي القصيدة ضمها وتمتع
ورأيت في أعلى البناية نجمة
علما- تعال - أشار لي بالأصبع
قبلته لما انحنى وسألته
قال اجتهد اني رهين الرافع
قلت البلاد تموت كل دقيقة
الجرح سال وسال دمع الراكع

جوع عرا، عطش هناك وها هنا
طفل يقازل مزبلات الشارع
قلها بربك لا تخف، قلها وهت
أوما مللت يد اللعين القابع
أوما مللت سكوتنا بل خوفنا
أوما مللت من الرعاة التبع
ودعته لما تغير وجهه
وجرت دموعه وانحنت بتواضع
اني أحبك آه يا وطني ترى
من أين أبدأ رحلتي وتسكعي
وبأي حنجرة سأصرخ يا ترى
والرفض يصرخ في الجهات الأربع
وطني وإن سكت القصيد ولم يقل
فغدا سيصرخ رغم أنف المانع
أنا إن بكيت بكى الورى إني الورى
الليل يعرف والرياح زوابعي
يا أحرفا، يا من تقاسمني الأسى
إني المحذب هاهنا ابقي معي
كوني دما أو دمعة في مقلتي
كوني سلاحا في يدي المتصارع

كوني إذا رغب الفؤاد حبيبة
كوني كتابا في يميني الطائع
في كل ناحية أريدك أحرفي
في مكتبي في غرفتي في مضجعي
اني اريدك أن تكوني ثورة
لاخبزة تعطى لطفل جائع
هيا انهضي، أذِنَ الزمان تقدمي
وخذي الحقيقة من ثناي الواقع
عرق، دم. دمع ومقصلة نعم
لكن ستزهر مئذنات الجامع
هدفي وحبك واحد. ابقي هنا
نحيا معا في العز أو موتي معي

قسنطينة: مارس 1988

من الجاني ؟

ماذا أسميك ماذا، أيها الجاني
يا راكضا في دمي يا شخصيَ الثاني
يامن تصور لي دنيا - بأكملها -
في عين امرأة في جسمها الفاني
يا من تدغدغني ليلا تهيجني
يا من تفكر في تغيير إنساني
ماذا أسميك، أنت الآن تسكنني
إني أحسك في أعماق وجداني
إني أراك، أرى وجها أرى شبحا
أراك أمعن في المرآة ألقاني

أهو وجهك أم وجهي يحاصرني

قل لي بربك من منا رأى الثاني

أراك تبكي، دموعي الآن تجرحني

ما سر حزنك، بل ما سر أحزاني

أظل أسأل من غنى لها أنا

أم كان صوتك ممزوجا بألحاني

ما عدت أعرف من منا يمثلني

ما عدت أعرفني. هل نحن اثنان

يلفني الشك، لا أدري يخيل لي

كأنني هارب عن نصفي الثاني

يا أيها النصف، يا نبضا يحركني

من أنت يا أنت اني صرخة أخشاني

إن كنت منفصلا عني ولست أنا

قل لي لماذا إذا ما هجت أنساني

أنا وأنت مواقيتي مبعثرة

بيني وبينك. هذا اللغز أعياني

كأننا السجن والمسجون نحن معا

كأنك الدمع والأجفان أجفاني

أنا وأنت رصيف الحي عاتبنا

من البريء ترى منا من الجاني

من غازل الجمرة الحمراء في غسق
ما أضرم النار في جسمي وأغواني
من رافق الموجة الهوجاء منتشيا
من أسكن السمك البريّ شطآني
من دبر الأمر، من سوى الطريق لها
وراح يعبث بي، من شل سلطاني
إثنان نحن، نعم اثنان في جسد
إثنان أولنا قد خانه الثاني
أنا البريء، أنا الأشعار تشهد لي
الحبر أعلن منذ البدء ايماني
أنا وأنت، كتابي لم يزل بيدي
فمن تراك وقد خالفت قرآني
إثنان نحن نعم اثنان لستَ أنا
ولن تكون أنا بل أنت شيطاني
هاخاب ظنك فانزع صورتي فلقد
شطبت اسمك من قاموس انساني
آن الفراق ولن، لن نلتقي أبدا
عنوانك النار والرضوان عنواني

قسنطينة: ماي 1988

الصورة المصطفاة

فـــم رافض
وفم غارق في الهوى لايـمـل
أنا والســـراج هنـا
وهنالك المصابيح وامرأة كل ليـل تطل
وخلف التجاعـيد،
خلف ملامحها صورة مصطفاة
تســاءلت قبـــل الشـــروق
وقبـــل انبـــلاج المـــآذن
في لحظة من اضافات هذا العـــذاب
تســاءلت كم مرة

أقتل القلب كي استريح
وكم مرة أستطيع الفرار
لماذا أنا
ألعن الحب، أهرب كي لا أراك
وفي الشعر أهواك أنت
لماذا أُغلِّق كل النوافذ، أغلق بابي
وفي خلوة الروح بالروح أفتح قلبي
تساءلت
للمرة الألف أسأل
كم مرة أقتل القلب
كم مرة استطيع الفرار
تذكرني هذه الصورة المصطفاة أحن
تذكرني بالبراءة
بالبسمات الخفية، بالأغنيات
تذكرني بالغدير أحنُّ
أحنُّ إلى الأرض
لا أرض لي غير ذاك التراب
أحنُّ إلى الماء
يد فعني ظمئي للغدير
أحنُّ إليك

إلى زقزقات الطيور
ترى؟
هل تعود السنون البريئة
هل يرجع الحب
هل يسترد فمي لحنه من جديد
يراودني الشك
في داخلي نام طفل يحب
على شفتي استوطن الرفض
إني على وشك الانهيار

* * *

أناديك في صمتة الليل حين أحن
أناديك من شرفة الذكريات
ومن صورة خبأتها السنون
أناديك
إني أناديك هل تسمعين
تنامين أزداد حزنا
تنامين، تمنعني الريح
لأحول لي الآن لاقوة كي أغنيك
أو أوقظ الحب ثانية أو أبوح
تنامين، تمنعني الريح

بيني وبينك قتبلة ودم وجروح
لك الآن وجهان
إني أفتش عن وجهك العربيّ الأصيل
أنا والسراج هنا
وهنالك على بعد قلبين صورتك المصطفاة
وخلف التجاعيد
قتبلة ودم ودموع

* * *

أنا راحل
قادم من بلادي القديمة
من عمق أعماق صورتك المصطفاة
سأمضي
وتمضي معي الأغنيات
سأمضي إلى حيث ألقاك في زيك الأنثوي
سأمضي إلى حيث يسلبني شعرك السومري
سأمضي إلى كحل عينيك يا واحة والسواك
سأمضي إليك
إلى حيث ألقاك في زيك العربي
إليك إلى حيث لا تعتريني الظنون
إليك إلى حيث لا تعتريني الظنون

دنكشوت القرن العشرين

الاهداء : إلى الذين قتلوا الشاعر عبد الله بوخالفة

قف لحظة ، قف وامعن النظرا
هي ذي الجريدة اقرأ الخبرا
خبر وهل خبرا سواه أرى
إني أكاد أكذّب البصرا
أتدوس عبد الله قاطرة
من ذا يؤكد من ترى حضرا
هل ودع الدنيا إلى أبد
وبلا رجوع ودع العبرا
ما أضيق الدنيا وأظلمها
ما أتعس الأدباء والشعرا

هي ذي الجريدة، قف أيا زمنا
أعد الشريط لكي نرى الصورا
هل جُنَّ عبد الله يومئذ
ألقى الثياب على الثرى وجرى
- كذبٌ، هراءٌ - تلك أغنية
قد ستروهم ليبعدوا الخطرا
أرأيت مجنونا تعذبه
أضغاث أحلام بها اشتهرا
ويقال هبت ريح عاشقة
تأبى الوصال ففضل السفرا
ويقال قرص هدّه فبكى
ورأى قطارا خاله قمرا
إن الذي قالوه يا ولدي
كذب هراء كل ما نُشرا
- هي ذي الحقيقة - لن أصدقكم
لا جُنَّ صاحبكم ولا سكرا
ماضاقت الدنيا به أبدا
لا مَلَّ دنياه ولا ضجرا
هي فكرة حمراء جيء بها
حتى إذا ما جاءها انيهرا

أولم يعانق طيف حمرتكم
ولرب نخل عانق الحجرا
عن كل شيء كان يسألكم
طفل تمرد تاه بل كفرا
أوهمتموه فبات معتقدا
أن التمركس ينعش الفكرا
كنتم وكان يمر عبركمو
بل من خلاله بعضكم عبرا
بايعتموه لرفع رايتكم
دنكشتموه فصارع القدرا
قدمتموه وقلتمو بطلا
وقتلتموه وقلتمو انتحرا
ملء الفؤاد و ملء حنجرتي
استصغر الأدباء والشعرا
استصغر الغاوين كلهمو
والتابعين وكل من كفرا
هي ذي الجريدة. كم يؤرقني
يا فندقا أن يسكن الحفرا
كنا معا كان الفقيد هنا
كنا تغازل مثله القمرا

هل تذكرون نخيـــل بسكرة
يا أيها الشعـــراء والسهرا
رحل الصديق فهل يجوز لنا
من بعـــده أن نـــرفع الوترا
رحل الصديق وكان موعدنا
في الملتـــقى ياليـــته حضرا
هي آخر الصيحات أعلنـــها
رحـــماك ربي انـــه اعتذرا

قسنطينة: أكتوبر 1988

الدرس الأخير

كل شيء صار بالمقلوب يمشي
كل ما نحن درسناه تحطم
فلماذا نتعلم
تخرج الدفعات عاما بعد عام
كلها تمضي بعزم وحماس
كلها تمضي ولكن
بعد عام تتأقلم
أيها الأطفال عفوا
كيف نعلو
وبماذا نتقدم
نحن نلبي والحكومات تهدم

فرجاء لا تقولوا لي تبسم
الذي يعلم حتما يتألم
صدقوني الجهل أرحم
في بلادي الجهل أرحم
هكذا الأستاذ قال
بعدما صلى وسلم
هكذا والله أعلم.

قسنطينة: مارس 1989

صحوة حلم

يـا أيها البـطل ...
يا أيها البـطل المفقود في الظلم
يا رجلا في المدى، يا غصة بدمي
يا شيخ من أنت، بل من أنت يا رجلا
أأنت في يقظتي أم أنت في حـلمي
علام تبحث - ليلى - لا وجود لها
ليلاك من زمن نامت ولم تقم
ليلاك في رحـم الأوجاع يا بطلا
ليلاك قد أصبحت جزءا من العدم
بعيدة لا تسل - ليـلى - بلا وطن
ليلاك أبعد من نجم السما. فنم

ليلاك حلم وكابوس يعـــذبنا
ماذا سيحدث لو عشنا بلاحـــلم
تأبى المســافة أن تأتيك طائعة
فهل بوسعك أن تجري بلاقدم
لاتسأل الناس عونا. لم يعد أحد
يصغي إلى أحد من شدة الألم
القوم صرعى، هوى التمثال فوقهمو
فهل ستبحث في الموتى عن القيم
لاغير صوتك، لاغير الصدى وأنا
نام الجميع لمـــاذا أنت لم تـــنم
يستيقظ الناس، بركان يحيط بهم
وهل سينفع بـركان بلاحمـم
ليلى انتماؤك، أنت الآن متهم
فاثأر لنفسك أو من نفسك انتقم
ليلى هنالك ليست في فـــمي عبرا
فاخرج أيا بطل الأبطال من قلمي
ليلاك أكبر حجما من مخيـلتي
ليلى هنالك، قال الليل في ظلمي
وقالت الريح في عصفي أخبئها
وقالت الشمس لا. بل هي في رحـمي

الموج قال، وقالت صخرة سقطت
ليـلى هنالك خلف البحر والقمم
في القلب ليـلى وفي الأحلام يا بطلا
قال المحب، وقال الطير في النغم
خلف العذاب وتحت السيف قال دم
وقالت امرأة زفت مع الخـدم
ليـلى... وهمهم طفل قالها وبكى
ليـلاك مسجونة في هـيئة الأمم
ليـلاك مسجونة في هـيئة الأمم

15 جـانفي 1990

سقطت فانطلقي

ملقى على الأرض، يا أرض اشربي عرقي
توضئ من دمي المسكوب في الطرق
هذا أنا زغردي، صلي اسجدي ابتهلي
تعطري بغباري استنشقي عبقي
لا تفزعي الجرح، لا تستنطقي جسدا
تعلقت روحه بالعالم الأفقي
دعي التفاصيل إن الحاكم العربي
قد استحان على قتلي بمرتزق
سيان ينزف رأسي أو فمي أبدا
سيان لن أنحني فليقطعوا عنقي

سيان أترك رميما هنا أبدا
تقتاتني القطط الحمراء في الغسق
تقتاتني الريح أو ألقى بمقبرة
وما عسى الدود أن يلقى سوى العلق
مامت يا أرض، لكن طينة سقطت
من هذه الطينة المدماة منطلقي
شيخ أنا، صرخة الشيخوخة احتضرت
ليبعث الولد الحملاق من رمقي
ليولد الفجر من ليلي الكئيب لكي
ترفرف الراية الخضراء في الأفق
حي أنا لم أمت، حيا أظل أنا
سقطت فانطلقي، يا الراية انطلقي

قسنطينة، أكتوبر 1990

من خلف السياج

من آخر الحجرات
من أقصى المدينة من هناك
من خلف نافذة مسيجة يطل كما السجين
يتأمل الدنيا
يحدق في وجوه العابرات فلا يراك
من خلف نافذة مسيجة يعدّ على أصابعه السنين
متى ترجعين
ماما... ويجهش بالبكاء
يبكي فترتفع شهقة الريح اعتصارة للسحاب
فيصبه مطرا على خديك تجرحك الدموع

تستقبلين نداء طفلك في خشوع
تتألمين
يبكي فتعتصر الأمومة فجأة
تتأملين نزين وجهه حالكا خلف الزجاج
هو ذا الجنين
هو ثمرة الشهوات ، وحوحة السنين
هل تذكرين
تتقدمين فيعتريك الخوف
يزداد التهابك
تكبر الفجوات ، يلتهب الحنين
هو ذا الجنين
وكأي امرأة تحاول أن تغازل نفسها بقصيدة
ستحاولين
ستحاولين الآن اخماد التهابك والأنين
هو ذا الجنين
بحرارة و بلهفة تتقدمين ، تقبلينه تشعرين بخيبة
ببرودة الدم واليدين
تتورم الشفتان ، ينكسر الزجاج
من خلف نافذة مسيجة يعد على أصابعه السنين
متى ترجعين

ماما... و يجهش بالبكاء
يبكي تعاتبه المربية العجوز
لِمَ يا صغيري لا تنام
لِمَ يا صغيري ، نم بنيّ دع السؤال
ستعود أمك بعد حين
ستعود يا ولدي غدا أو بعده
أو حين يكتمل الهلال
حتما تعود دع السؤال
وتجيء بالرمان والتفاح كل
أشرب قليلا من عصير البرتقال
ماما...
تقبله تقال
سأقص يا ولدي عليك حكاية البنت الجميلة
ذات يوم في الجبال
لا بأس يا امرأة دعيه
لا تزعميه
لا تقصصي رؤياك والماضي البعيد
هو لا يريد
لا تزعميه دعيه يصرخ ربما يتبخر الألم الدفين
لا تزعميه

يبكي، فتبكي ثم تخفي دمعها وتضمه
تزداد لهفته ينوح
من خلف نافذة مسيجة يعد على أصابعه السنين
متى ترجعين
ماما...
يفاجئه النعاس
يستسلم الجفنان للنوم العميق ينام تحت النافذة
النصف بعد الواحد
تمضي به الأحلام يحلم بالدمى
بالطائرات تطير باللعب الكثيرة بالقطار
في أي طائرة ترى
من أي ناحية تجيء
ويظل يسأل، يرقب الدقات، ينتظر القطار
ويظل يركض خلف خيط من سراب
ويظل من حضن إلى حضن يفتش عن أبيه
عن أمه بين النساء
ويظل يحلم
مرة أخرى سيحلم ربما
ستجيء في الحلم الأخير
يمضي به الحلم الجميل يراك قادمة

فيركض يرتمي
في لهفة الأطفال يسرق قبلتين
ويرى أباه يوزع الحلوى على الفتيات يضحك
ثم يخطف قطعتين
ويعود يلعب من جديد
يمضي به الحلم الجميل يراكما
متعانقين بلا حدود
هاما ..
وتوقظه العجوز
طلع النهار
يصحو فيصفعه الجدار
لا وقت للحلم انتهيت إلى الأبد
لا والدلك لا ولد
أنت انتهيت إلى الأبد
طلع النهار
قم يا ولد
طلع النهار
طلع النهار .

قسنطينة : 1990-11-01

في القصر (غرفة التحقيق)

بأمر من جلالة الملك، وبتهمة تحريض الشعوب ألقي القبض على أحد الشعـــراء.

في القصر، وبالضبط في غرفة التحقيق، جلس الشاعر ينتظر. بعد خمس ساعات أو يزيد دخل الملك رفقة وزيرين ورجل يرتدي بذلة عسكرية. حدق الملك في الشاعر قليلا ثم قال: السلام عليكم "والشعـــراء يتبعهم الغاوون"

فرد الشاعر قائلاً: "وعليكم السلام"، "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها".

بعد هذه التحية وهذا الرد بدأ التحقيق، إليكموه:

الملك : الطير يسكت في حضورك من تراك؟
صادفت روحك في المشانق
في زغاريد النساء
وفي هتافات الرجال
وقرأت اسمك في العيون وفي السجون
كثر التمرد يا محرض من تكون

الشاعر : أنا هذه الأعضاء من رأسي إلى قدمي
إلى ظلي الدفين
عمري يفوق الأربعين
يا سيدي لم تسألون؟

الملك : الخادم المسعور حدثني
وحدثني الوزير، ومن رآك
قيل انحرفت عن الطريق
عن دربنا المرسوم
عن دستورنا.
قيل انحرفت
فهلل الأطفال واتبعوا خطاك
وصراحة

أنا لا أشك الآن في أحد سواك
من أنت ؟
من أي الفصائل من وراك ؟
كثر التطرف في المدينة
أيها الرجل المغامر من تكون ؟

الشاعر : أنا شاعر
غنيت فانشرحت قلوب الناس
وانكسرت قيودي
أفنيت عمري في الذهاب وفي الإياب
كالطير أبحث في الوجود عن الوجود
في كل منطقة دمي
في كل عاصمة أنا
وأنا المسافر في الحدود بلا حدود

الملك : حسناً
ستصبح شاعري
ومفكري
أنت الكلام وليس بعدك من يقول
سيكون أجرك خمس مرات

يزيد عن الوزير
ويكون أكثر إن أردت
وهناك في قصري الورود المنعشات
وهناك ما تهوى النفوس
من الجواري الرائعات الطائعات
إني أمدك فرصة، ذهبية
لا ينبغي لك أن ترد هدية الملك الرؤوف
لا ينبغي لك أن تفكر
كل شيء طوع أمرك، هل تريد ؟

الشاعر : الرفض أغنيتي الشهيرة سيدي
أنا لا أساوم بالورود وبالخدود وبالنقود
هدى حقيقة من هوى
الحب علمني الصراحة سيدي
أنا لا أساوم بالخدود وبالنقود

الملك : أوهكذا يجزى الكريم ؟
بحماقة قصوى ترد هديتي
حسنا سأكتب في سجلك لا تريد
لندع عنادك جانبا

لنعد إلى القدس الممزق
كيف تنظر لليهود ؟

الشاعر : قزم يحاول أن يقود

الملك : طهران تقصف والعراق
فما تقول عن الحدود ؟

الشاعر : نار وأشعلها اليهود

الملك : ما الحل في نظر المفكر؟
ما الطريقة ؟
ما السبيل إلى الخلاص؟

الشاعر : هو القصاص
هو القصاص ولن يكون بلا رصاص
إن المدينة بالتغابن لن تعود
اخشوشنوا
ردوا الرصاصة بالرصاصة
والثعالب بالأسود.

إن المدينة بالتغابن لن تعود

الملك : ما أعظم الشعراء لو منحوا الكلام
هذا كلام
ماذا ستفعل يا المفكر، لو منحتك سلطتي؟

الشاعر : أنتم بداية طلقتي
بكم البداية فالذين تمركسوا ثم اليهود

الملك : ماذا ...؟

صوت : وأردفت العصا
ثم اليهود

الشاعر : حسنا سأفعل
سوف أمدح سيدي :
من قمة القمم الطويلة والعريضة
أنت تهبط كالحمام بلا جناح
في قمة الأسطول أنت
وأنت أول من تسخر الرياح

كالنسر أنت
تقص ظفرك في المساء وفي الصباح
عيناك أجمل من عيون الرائعات
من لا يحبك
أنت من حكم الديار
وأنت مثلك قد يفور بلا نجاح
من لا يحبك سيدي ؟
أنت المليح
وأنت من منح الملاحة للملاح
أنت الملاحة و الملاح
أنت الملاحة و الملاح .

في السجن

"كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي أكلها كل حين بإذن ربها."

هذا ما كان يرتله الشاعر وقد لبث في السجن بضع سنين. وهو في السجن كتب قصائد عده لا يدري أحد كيف تسللت إحدى قصائده ووصلت إلى الناس قصيدة حفظها الطفل والشيخ وكل الناس، سمعها الملك مرات ومرات. وكانت تزعجه كثيرا. ولكي لا يتفاقم الوضع أكثر قال الملك: ائتوني بصاحب القصيدة استخلصه لنفسي. فلما علم أنه في السجن، قرر أن ينتقل إليه شخصيا وكان هذا الحوار:

الملك : تعبٌ، تعبٌ

أفنيت عمري كله

في حل مشكلة العرب

عشرون عاما يا دمي

عشرون عاما

كلما كمدت جرحا

سال جرح

ماذا جنيت سوى التعاسة والتعب

إني حزين

فلترحموني يا عرب

إني حزين

يا أيها الحرس المدلل يا لعين

أين السجين ؟

أين الذي تتحدث الطرقات عنه

وعن نشيده كل يوم ؟

أين السجين ؟

الشاعر : إني هنا ...

بين الجدار وهذه القضبان قربك هل تراني

وحدي ولا أحد سواي الآن يحرسه الحرس

حرس هناك
وهنا حرس
بين السقيفة والسقيفة أدمع
ودم
ومقصلة ونار
إني هنا
رغم الدهاليز الجميلة سيدي
رغم النظافة واللطافة لم أمت
لا القلب مات ولا القصيد
إني هنا
ماذا تريد ؟

الملك : أو أنت من تتحدث الطرقات عنه
أو أنت من ... ؟
عجبا لأمرك يا سجين
أو أينما وليت وجهي كنت أنت
أوكلما صادفت مشكلة
وجدتك في ثناياها قصيدْ
ما أخطرك
ما أعظمك

كالحب تكبر كلما ضاق المجال
ماهذه الفوضى ؟
تكلم
من وراءك أيها الرجل الحديد
ماذا تريد
قل لي بصدق من تكون

الشاعر : أنا شاعر
وطن لهذا الجرح، أنعتني رحيل الأصدقاء
أنا صرخة ،،
جرح تقادم عهده ،،
تاريخ شعب لم يمت ،،
أمل توسده المدينة من زمان
الحب علمني التجدد سيدي
إني كما العنقاء أولد كل عيد
إني هنا
ماذا تريد ؟

الملك : أفّ لهذا الدهر أفّ
أوليس في الدنيا سوى الآهات

والدمع الغزير
قل لي بربك يا أسير
ماذا كتبت عن الألم؟
ماذا تحس؟
صف لي لياليك الحزينة والعذاب
صف لي الدموع
صف لي الزنازن والمشانق والحرس
صف ما تراه ولا أراه؟
ماذا تحس؟

الشاعر : حسنا سأفعل
طوع أمرك سيدي
زنزانتي هذي
وفي الأخرى أنام
كان الأحبة يعشقون قصائدي
يصغون من خلف الزنازن
حين أقرأ يسمعون ويحفظون
سقط الأحبة كلهم
إلاّ أنا
لا شيء يجعلني أحيد

الشرب عندكم عسل
ورح تحيتكم
وبسمتكم غزل
الأكل أطيب من ثريد
زنزانتي هذي
وفي الأخرى أنام
لا...
لم ينم أحد هنا
إلاّ وجُنَّ
حرس تفنن سيدي
حرس وأمعن ثم فكر ثم قدر
ثم قرر أن يفرق بين روحي والجسد
الجند جندك والكلاش وما بقى من رصاص
ياسيدي
لا ترتعش
زنزانتي هذه
وفي الأخرى أنام
زنزانة الألف المقابل للأئمة والدعاة
ولمن تفقه في المساجد أو درس
البأس، للبطل الشجاع

ولمن تعلم كيف يركض بالفرس
الجيم، للجيل المشرد للجياع
لمن اختلس
سقط الأحبة سيدي إلّا أنا
أنا لن أموت ولن أحيد
إني هنا
ماذا تريد؟

الملك : آهٍ..
يعذبني أنينك يا سجين
للمرة الأولى ألين
للمرة الأولى أحس بأنني خنت اليمين
خطأ سجنتك أعترفْ
ظلما سجنتك أعترفْ
بيني وبينك كنت أقصى من حجر
حينا سأبدأ في اتخاذ الاجراءات
سأغير الدنيا بأكملها
لأجلك أيها الرجل العنيد
سأغير الحكام
بل سأغير النمط البليد

حينا سأبدأ في اتخاذ الاجراءات
اليوم يومك يا عنيد قد اقترحتك
أنت أول من سيرفع راية العهد الجديد
كن ما تريد
كن شاعرا أو فاجرا
كن مسلما أو ملحدا
وبكل حرية أريدك أن تعبر عن مشاكلك الكبيرة
والصغيرة والتي لم تأت بعد
أفلا تريد ؟

الشاعر : الرفض أغنيتي الشهيرة سيدي
أنا لا أساوم بالتعدد في الهياكل والتعهد بالعدس
الأمر أكبر سيدي مما تظن

الملك : الله ، ما هذا الكلام
أنا لا أساوم ، لا أظن بل الضرورة تقتضي
أن أستجيب
إني أريدك أن تكون كما تريد
أو ليس هذا ما تريد

الشاعر : هذا وأكثر سيدي

الملك : ماذا تريد وقد منحتك كل شيء
حق التملك والتصعلك والكلام
حق التـرشح دون إذن أو جـواز
ماذا تريد وقد منحتك كل شيء

الشاعر : عفوا إذا أغضبت مولاي الملك

الملك : لا تعتـذر
لا وقت للجمل الرقيقـة يا سـجين
أنا مسـتعد
كل شيء في سبيلك قد يـهون
هات البقـية واسـترح
هات البقـية يا سجين

الشاعر : ما أعظم الحكام لو صدقوا الكلام
هذا كلام
قد لا يسرك ما تحبئه الحناجر من كلام قد تثور
الأمر أكبر سـيدي مما تظن
هب أنني مثـلا
جمعت قصائدي

وصرخت من فوق المنصة قلت لا
للحاكمين الغاصبين الشاربين دم الشعوب
أو أنني أفرغت كيسك ثم قصرك والجيوب
وبنيت للولد المشرد ملجأ يحميه
من خطر الجليد
ماذا ستفعل سيدي ؟
ماذا ستفعل لو أنا
حررت بالقلم العبيد ؟
أو أنني
طبقت حكم الله فيك وفي أخيك
وفي دويك المتخمين
أوليس مال الشعب هذا يا ملك

الملك : قف عند حدك أيها الرجل
السخيف
أتشك في من لا ينام لأجلكم
أتشك أيضا في مليكك ياخسيس

الشاعر : أولم أقل
ها أنت تبصق ما تبقى

من لعابك في اعتراض
حاشاك لا
هذا مجرد افتراض
إني فقط
حاولت أن أضع النقاط
على الحروف لكي أرى
ماذا سيفعل من سيرفع
راية العهد الجديد
حاشاك لا
هذا مجرد افتراض

الملك : آه لمكرك يا عنيد
أتعبتني
ما عدت أحتمل التواءك
لم أعد أقوى على بحث الأمور
هيا انصرف
يا أيها الحرس المدلل يا لعين
فك السجين

الشاعر : مولاي هل

الملك : العصر عصر الحريات
ماقيمة القضبان ماجدوى الحرس
ماحيلتي
إن كان صوتك لا يجف ولا يكف
هيا انصرف
لك أن تجيء وأن تروح
وأن تغني ما تشاء
العصر عصر الحريات

الشاعر : خرج الملك
أنهى الزيارة بعد جهد واجتهاد
نكب سلاحك يا حرس
جنب سلاحك واستراح
خرج الملك
نظر الجميع إلى الجميع وكنت
أنظر في اندهاش
ماذا جرى
ولم السكوت ؟
يا أيها الحرس المدلل ... يا.. جميل
بل أنت أجمل من جميل

هيا اقترب
فك الحديد
إياك أن تبدي ابتهاجا أو فرج
مولاك أعلنها
ورأيك لا يفيد
لاشيئ يوجد في الحياة
سوى الأوامر والخضوع
صفق بقلبك أو بعينك إن أردت
ضع فوق صدرك جمرتين
إذا غضبت ومت هنيئا
لا تنفس لا نفس
الهمس لا
والغمز لا
مولاك أعلنها ورأيك لا يفيد
نكب سلاحك ياحرس
قدم سلاحك واحترس
أجل همومك لا عبوس ولا جلوس
مت واقفا
مت حارسا
إياك أن تبدي اعتراضك قد تموت

إنس الطماطم يا حرس
وانس البطاطس والعدس
نكب سلاحك ثم قل
سقط الملك
يحيا الملك
سقط الملك
يحيا الملك.

قسنطينة : جانفي 1989

أنجز طبعه على مطابع عمار قرفي - باتنة

نور الدين درويش

ما أكثر نفحات النور، المضمخة بندى الصدق والبراء ،، المتعالية أريجا مشرقا بسموّ الدرب وترفّع الذات عن الطين ،، عن عبودية اللّذة، عن هبوط الوجد الانساني في حمأة الحفن .

ما أجمل تلك العواطف التي تفترش ثرى الوطن بدمائه الزكية، وتلتحف نور المجد الذي انطبعت ملامحه الوضيئة في تاريخ أرضٍ جعلت من الشهادة والفداء مطلباً عظيما قدّمت على أعتابه الشهادات وراء الشهادات.

الطاهر تحياوي